قراءات أفرابيا

أفرابيا
للنخب الأفروعراقية
Center for Afro-Iraqi Elites

أليكس دي وال

# السياسة الحقيقية لمنطقة القرن الإفريقـــي

## المال والحرب وصناعة النفوذ

عرض: د.فريدة بندراي

# Review of Book

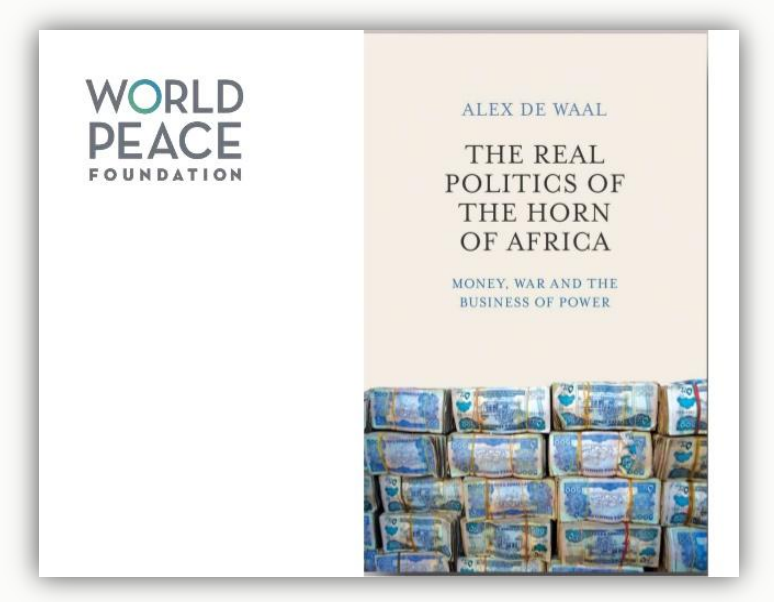


# The Real Politics of the Horn of Africa

## Money.War and The Business of power[*]

عرض : د. فريدة بنداري[†]

[*] De Waal, Alex. The Real Politics of the Horn of Africa: Money, War and the Business of Power. Cambridge: Polity Press, 2015.

[†]دكتوراه في الدراسات الأفريقية، وباحثة متخصصة في الشؤون الأفريقية – جامعة القاهرة.

تعود أهمية الكتاب إلى مؤلفه **Alex de Waal** والذى يعرف الكثير عن منطقة القرن الأفريقي- فلعقود كان مراقبا ومشاركا فيما **أسماه "وفرة القرن الأفريقي الخصبة من العنف والدمار"**؛ حيث تواجد في قاعات محادثات السلام الكبيرة، وتقابل وعقد صداقات مع كبار رجال المنطقة وأجرى الأحاديث واللقاءات، وتسعى نظرة **"دي وال"** الثاقبة لوصف الحقيقة بكامل تفاصيلها، لذا تتمثل **فكرته الرئيسية حول**

**( أن السياسة في القرن الأفريقي يمكن فهمها على أنها "سوق" عملتها المال والعنف، تمثل فيها الدول عناصر مؤسسة تحيلية بشكل كبير .و الجزء المهم في السياسة هو تراكم ميزانية سياسية إلى أكبر حد ممكن: الأموال التقديرية التي يمكن لأي قائد إنفاقها على شراء الدعم، سواء على شكل أصوات أو بنادق على النقيض من ذلك تصبح " الميزانية العمومية مجرد عرض جانبي" في هرمية السوق السياسي، فإن الجميع في هذا السوق مشترين للاعبين أصغر وبائعين للاعبين أكبر: العنف مجرد وسيلة للمساومة وإبراز القيمة داخل السوق).**

**وتحتوي قائمة محتويات الكتاب علي...**

1- مقدمة: ملاحظة بيزنس السلطة
2- السوق السياسي: السياسة هي البيزنس والبيزنس هو السياسة
3- القرن الأفريقي: حرب داخل القارة من ثلاثة فصول
4- دارفور: مزاد على الولاء
5- السودان: إدارة ما لا يمكن إدارته
6- جنوب السودان: ازدهار وتلاشي الفقاعة المتوقعة
7- الصومال: ورشة عمل ما بعد نهاية العالم
8- صوماليلاند: عقد بيزنس-اجتماعي
9- إرتيريا: متحف الحداثة
10- إثيوبيا: هل ما زال بناء الدولة ممكنا؟
11- الرعاية والاحتضان الانتقالي: عولمة الظل والسوق الإقليمي
12- سياسة الأفكار: المفكّرين وصناع السلام المرتبكين

بالاعتماد على خبرة ثلاثين عاما في السودان وإثيوبيا وارتيريا والصومال، بما في ذلك خبرته كمشارك في محادثات سلام عالية المستوى، يقدم أليكس دي وال وصفا فريدا ودقيقا لكيفية قيام قادة هذه الدول بتسيير حكوماتها وممارسة البيزنس الخاص بهم وخوض الحروب، ومن وقت لآخر، إبرام اتفاقية السلام. يوضح دي وال كيف يعمل القادة على نموذج للبيزنس، وتأمين الأموال لميزانيتهم السياسية التي يستخدمونها لاستئجار تحالفات مؤقتة من ظباط الجيش وقادة المليشيات ورؤساء القبائل ومسئولي الأحزاب بالسعر السائد. يعمل هذه السوق السياسي على تآكل مؤسسات الحكومة ويؤثر

بالسلب على بناء الدولة ويتغذى بشكل أساسي على صادرات البترول وأموال المساعدات والمساعدة العسكرية الغربية المخصص لمكافحة الإرهاب وحفظ السلام.
إن كتاب "السياسية الحقيقية للقرن الأفريقي" هو كتاب قاسي ومزعج وله تداعيات عميقة على العلاقات الدولية والتنمية وصنع السلام في القرن الأفريقي وما حوله.

يتناول الكتاب بالتحليل سياسية القرن الأفريقي فيما يتعلق بمفهوم "السوق السياسي" – وهو ساحة يتبادل فيها البائعون والمشترون الولاء مقابل الموارد وكل مشتري هو بائع في نفس الوقت. وعندما يشرق السلام بعد فترات من العنف، يتحول السوق السياسي، مع وجود العديد من اللاعبين الذين يتحمل أن يستخدموا التهديد المستمر بعدم الولاء وحتى العنف كوسيلة للاستفادة من الموارد لمصلحتهم ومصلحة زملائهم. وهذا تفسير قوي لسبب استمرار الصراعات لفترات طويلة غالبا. كما يقدم إطار مقبول لفهم كيف يصبح السلام ممكنا. في هذا الخصوص، فإن الكتاب يكمل بشكل قوي الكتاب الهام عن الدوائر الانتخابية السياسية للحرب والسلام لراجيش فينوجوبال، بشكل خاص.

تغطي فصول دراسة الحالة في كتاب "دي وال" السودان (فصلين)، وجنوب السودان والصومال وصوماليلاند وإرتريا وإثيوبيا. في الفصل الخاص بجنوب السودان، يوضح كيف أن الاستقرار السياسي المحلي قد اعتمد على نظام رعاية قائم على النفط أثبت أنه غير مستدام. الولاءات هشة للغاية، وبشكل خاص بالنظر إلى العادة الطويلة للخرطوم بشأن "شراء" العناصر الجامحة والمتمردة في الجنوب (وبشكل خاص بين عناصر النوير). لمواجهة هذا، عملت دولة جنوب السودان على تجنب DDR (نزع السلاح، وتسريح الجنود والتفكيك)، واستيعاب مليشيات غير حركة تحرير جنوب السودان إلى الجيش والإنفاق بسخاء على القطاع العسكري المنتفخ والمسئولين الحكوميين الآخرين. إلا أن نظام الرعاية الناشئ هذا نتج عنه تقليص قدرة الإنفاق الحكومية الذي كان بإمكانه الوفاء باحتياجات أوسع وتهدئة كوارث ذات نطاق أوسع. في نفس الوقت، كانت جنوب السودان تعتمد بشكل مزمن على خطوط النفط ومعامل التكرير والبنية التحتية للموانئ في السودان نفسها، مما أدى بنظام الرعاية الطائفية المتوسع لجنوب السودان أن يواجه عقبات عند جفاف الإيرادات من النفط بعد الأزمة بين الشمال-الجنوب على توزيعها (نهاية الصفحة 218). بينما يستفيد الفصل بشأن إثيوبيا من وصول "دي وال" إلى رئيس الوزراء السبق ميليس زينياوي. بشكل عام، ينقل الكتاب الانطباع بأن إثيوبيا تمثل على الأقل استثناءا جزئيا لأوجه العمل الأكثر قسوة للسوق السياسي، رغم أنه سيكون من المثير للاهتمام أن نعرف المزيد عن مزيد من الأوجه الأكثر قسوة للسياسة في إثيوبيا، وكذلك سبب كون هذا البلد استثناءا.

يمثّل التكامل بين المحفزات الاقتصادية والتحليل السياسي نقطة قوة في هذا الكتاب. ولكن هل يمكن التأكيد على هذا بالفعل؟ مجرد التأكيد المتعنت على "الجشع، وليس المعاناة" من جانب بول كوليير وزملاءه، وتصويرهم للمتمردين بشكل خاص كمجموعة من "رجال ذو بعد واحد" يسعون للاستفادة من الظروف بأقصى شكل، يشير بالتأكيد إلى جانب في عالم السياسة يتناغم بشدة مع نموذج "العامل العقلاني". ولكن بالاعتماد على وجهة النظر هذه فقط، يمكن ملاحظة أنها تمثل ذروة أو نظير التحليل ذو التوجه الاقتصادي. ولكن كتاب "دي وال" مختلف تماما رغم ذلك. أولا، لأنه ثري بالمعلومات الميدانية. وثانيا، لأن تحليل السوق السياسي يشتمل على جميع اللاعبين الفاعلين (بما في ذلك العديد داخل الدولة) وليس المتمردين فقط. وثالثا، لأنه يؤكد على أن الهدف من الاستحواذ على الموارد هو سياسي في الغالب – بشكل خاص، بهدف الحفاظ على ولاء التابعين. ورابعا، لأنه يقر بصراحة بأهمية المشاعر المتولدة عن العنف. بالإضافة إلى أن الكتاب كان له أن يستفيد من زيادة الاهتمام بمدى شرعية المجموعات المتمردة وكيفية تشكيل وظهور وتآكل الميليشيات، وكذلك ما هي أنواع المشاكل التي تحرك المجموعات المتمردة المختلفة وكيف تتحول عندما يختار القادة توقيع الصفقات التي تفيدهم بشكل خاص.

- **يتوسع مفهوم "السوق السياسي" لـ "دي وال" ليصل إلى المحيط الدولي.**

يحاول الاستكشاف الطموح والمحفز لأليكس دي وال بشأن "السياسة الحقيقية" للقرن الأفريقي أن يفعل بالضبط ما يقوله في العنوان: أي تقديم رأي نظري متماسك عن الأحداث الجارية للسلطة في هذه المنطقة التي تتسم عادة باستمرار عدم الاستقرار السياسي. نجح هذا التحليل في التخلص من العوائق المؤسسية أو المتمركزة حول الدولة أو الديمقراطية المعتادة في التفسيرات الخارجية التقليدية وأكدت بدلا من ذلك على "بيزنس الأعمال" بالشكل الذي يمارس به في "السوق السياسي" للقرن الأفريقي المعاصر. كان "دي وال" رؤية واضحا منذ البداية بأن هذا السوق لا يعود كونه مجازا ولكنه رغم ذلك إطار مفهوم يمكن تطبيقه لفهم تصرفات وأجندات مجموعة واسعة من "ممارسي البيزنس العسكري-السياسي" على جميع مستويات السياسة المحلية والوطنية والإقليمية. رغم أن معظم فصول الكتاب تتناول دراسات حالة منفصلة تركز على الدولة-الشعب، فإن "دي وال" يؤسس نظريته على تصور سياسة القرن الأفريقي على أنها "غابة من الأشجار"، كل منها يمثل مركز سياسيا للاحتضان والرعاية؛ وينتشر بدرجات متفاوتة ويعبر الحدود غالبا.

تخدم هذه الصورة في تجاوز المزية التحليلية المعتادة للسياسة الرسمية في المنطقة – مصطلحات الدولة أو المؤسسات، الغرض الرسمي من عمليات التفاوض وإعلانات "السلام" – ويبرز بدلا من ذلك المنطق المادي في المساومة بشأن الإيجارات والولاء في السوق السياسي. في هذا الجزء يستخدم الكتاب

مفردات مألوفة بشكل أكبر لطالب إدارة الأعمال مقارنة بعالم السياسية المتوسط ويستمتع "دي وال" في تحطيم محفزات مديري بيزنس السياسية الذين يسعون إلى زيادة الإيرادات (الاحتضان والرعاية الخارجية والولاء المحلي)، والحد من التكاليف (دفع إيجارات لشراء ذلك الولاء) أو تحقيق ولاء العميل عبر وضع مسميات وعلامات تجارية في صورة التحديات الشائعة أمام حائزي السلطة و/أو العنف المتوقع.

السوق السياسي ديناميكي بطبعه والأساس التكنولوجي-الاتصالي المتغير لهذه العملية يزيد من المنافسة ويرفع سعر الولاء، مما يزيد من تسهيل وتحفيز دخول لاعبين جدد في الدوائر المتمردة الباحثة عن إيجار العنف منخفض الشدة المنتشر هنا ليس مؤشرا على إخفاق هذا النظام ولكنه مكون جوهري له.

فالعنف هنا يمثل وسيلة للمساومة ويعمل على إبراز نوايا وقدرات اللاعبين الفاعلين في السوق – التي تتجسد غالبا في مؤتمرات "السلام" والتي لا تمثل سواء ساحات مباشرة للمساومة بشأن وتبادل الولاء عبر شبكات الرعاية الدولية والإقليمية والوطنية. في العالم الذي يصفه "دي وال"، فإن إيرادات المعادن والهيدروكربونات تمثل مواضع هامة للصراع والغنائم التي يتوجب توزيعها، بينما يعب التمويل الخارجي غير الشرعي وتجارة الأسلحة الدولية و "الحرب العالمية على الإرهاب" والرعاية الأمنية من الغرب، تلعب جميعها أدوارا حاسمة ومؤثرة في تسيير ودعم المعاملات في السوق والحفاظ على جميع "الميزانيات السياسية" الهامة لحائزي السلطة.

تتمتع رؤية **دي وال** بدعم من حكايات مضيئة تقدم ميراثا من الخبرة والاتصال مع مجموعات الصفوة التي تمثل موضوع هذا الرسم العرقي السياسي. داخل إطار عمل السوق السياسي، يمكن رسم العديد من الأفراد بمستويات مختلفة من الدهاء والقدرة وفهم الظروف السياسية، وربما تكون الصورة الأكثر إثارة للاهتمام – لتوضيح مدى تأثير الأفراد ذوي النفوذ في هذا السياق المادي – هو ما يصف الراحل ميليز زيناوي، قائد المتمردين السابق ورئيس وزراء إثيوبيا. حيث يتم تصوير زيناوي كمنظّر وممارس للسوق السياسي، ملتزم بالاستفادة من فهم لمخاطر البحث عن إيجارات ولاء لتأسيس حالة قوية تمكنه من ممارسة صورة من صور الرعاية والاحتضان.

**وأخيرا ؛ أصبح القرن الأفريقي**، الذي كان خاضعا في السابق لهيمنة ثلاثة دول هي السودان وإثيوبيا والصومال، منطقة تتكون بشكل أساسي من ستة كيانات بالإضافة إلى جنوب السودان واريتريا ودولة صوماليلاند المستقلة ذات الحكم الذاتي. رغم تعاظم الاستقلال السياسي، استمر العنف الذي أحبط جهود المجتمع الدولي لبناء دول ديمقراطية. انخرط معهد السلام الأمريكي على مدار عقدين في السودان

والمنطقة عبر مساعدة الدول في كتابة دساتيرها، وتدريب العاملين على حفظ السلام وتقديم المنح لتدعيم بناء السلام ودعم تطوير المحللين وصناع السلام من المنطقة مع فرص لعرض الزمالات. أشارات رئيس معهد السلام الأمريكي، نانسي ليندبورج، إلى التحدي الذي تواجهه أهداف السياسية الخارجية الأمريكية عبر الدول الهشة مثل الصومال، حيث تتجذّر المجموعات المسلحة مثل حركة الشباب والمجموعة المستقلة "الدولة الإسلامية" في سياق ضعيف أو غير شرعي.

يزداد السلام والاستقلال في القرن الأفريقي ويتراجع بالتزامن مع الأموال، كما يذكر دي وال، مستشهدا بحالة السودان. ففي السبعينات من القرن الماضي، عندما ازدادت أموال القروض والمساعدات المقدمة إلى السودان بمقدار ثلاثة أضعاف، أصبح من الممكن لهذه البلد إبرام اتفاقية سلام أنهت الحرب الأهلية السودانية الأولى وأدخلت الأحزاب الطائفية، "لأن الكعكة كانت تتسع" كما يذكر دي وال. ولكن عندما تقلصت الميزانية، تمت الإطاحة بالرئيس جعفر النميري.

منذ أواسط الثمانيات في القرن الماضي وحتى عام 1999، اعتمدت السودان على ميزانية سنوية أقل من 1 مليار دولار سنويا، مما ضاعف من العنف كما ذكر دي وال. وعند اكتشاف البترول في أواخر التسعينات من القرض الماضي، قفز حجم الإنفاق السنوي إلى 12 مليار دولار خلال سنة سنوات. وكما يذكر دي وال: "هذا ما جعل اتفاقية السلام الشاملة واتفاقية السلام في شرق السودان ممكنة"، ومنذ انخفاض إيرادات البترول في آخر سنة ونصف، ظهرت مرة أخرى الأنماط القديمة للتمويل السياسي. فالسياسيون الإسلاميين يحصلون الآن على مساعدات مباشرة من المملكة العربية السعودية.